مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

مراحل النمو العمراني والحلول الاستراتيجية للتوسعات العمرانية في محافظة بغداد

رقية عبد الرضا غالي

باحثة دكتوراة بقسم الجغرافيا– كلية الآداب – جامعة القاهرة

أ.د. أحمد حسن إبراهيم

أستاذ بقسم الجغرافيا– كلية الآداب – جامعة القاهرة

د/ محمد ربيع فرج محمد قطوش

أستاذ مساعد الجغرافيا الاقتصادية ونظم المعلومات الجغرافية

كلية الآداب – جامعة القاهرة

DOI: 10.21608/qarts.2025.417276.2297

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – المجلد (٣٤) العدد (٦٩) أكتوبر ٢٠٢٥

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

مراحل النمو العمراني والحلول الاستراتيجية للتوسعات العمرانية في محافظة بغداد

الملخص:

تتناول هذه الدراسة مراحل النمو العمراني في محافظة بغداد من خلال تحليل التحولات المكانية والزمانية التي مرت بها المحافظة منذ نشأتها وحتى المرحلة الراهنة، مع التركيز على أنماط الامتداد العمراني وعلاقته بالزيادة السكانية والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية، فقد شهدت بغداد نموًا متسارعًا وغير متوازن، تجلى في التوسع الأفقي غير المخطط، وضغط شديد على البنية التحتية، وظهور مناطق عشوائية تعكس غياب الرؤية الشمولية في التخطيط الحضري.

ومن خلال تتبع المراحل التاريخية للتوسع العمراني، يتضح أن المحافظة انتقلت من مركزية التخطيط التقليدي في العصور الأولى، إلى سياسات التوسع الدائري والإشعاعي في القرن العشرين، وصولاً إلى النمو العشوائي غير المنظم في العقود الأخيرة، وهو ما أفرز تحديات كبيرة في إدارة الموارد الحضرية.

ولمواجهة هذه التحديات، يحاول البحث تقديم مجموعة من الحلول الاستراتيجية للتوسعات العمرانية كاعتماد مفهوم النمو المتوازن من خلال إنشاء مدن وضواحٍ جديدة مخططة تستوعب الزيادة السكانية، وتطوير شبكات النقل والربط الإقليمي للحد من التركز المفرط داخل المركز الحضري، وبذلك يخلص البحث إلى أن التخطيط الاستراتيجي طويل الأمد هو السبيل الأمثل لضبط النمو العمراني في بغداد، وتحويل التحديات القائمة إلى فرص تنموية تساهم في رفع كفاءة البنية الحضرية وتحقيق تنمية عمرانية أكثر استدامة.

الكلمات المفتاحية: النمو العمراني، التوسع الحضري ، المدن الجديدة ، الاستراتيجيات التخطيطية ، التخطيط العمراني.

المقدمة:

لا يقتصر التخطيط العمراني على تخطيط المنطقة المبنية من المحافظة، بل أصبح يمتد ليشمل المناطق المحيطة بها والمعتمدة عليها، فالمحافظة ليست ظاهرة قائمة بذاتها، بل ترتبط في عوامل قيامها ونموها وإن أهمية المحافظة منبثقة من موقعها النسبي في إقليمها والأقاليم المجاورة لها والتي تمدها بحاجاتها.

وأصبح إنشاء المدن الجديدة وفق استراتيجية محكمة قائمة بذاتها تعمل على إعادة التوزيع العادل للسكن وخلق توازن حضري وإقليمي وان المخطط الاستراتيجي للتنمية يعد إطار التنمية بوصفها استراتيجية تطوير حضرية، وبالنتيجة يعرف تخطيط المدن الجديدة هو وضع خطط وتصاميم جديدة ذو مرونة عالية في الاستجابة الى التغيرات الراهنة والمستقبلية من خلال تطبيق كل التقنيات والأساليب الحديثة في تنفيذ تلك المخططات والتي تنسجم مع بيئة المدينة الجديدة (خلف حسين،١٩٩٠، ص٩٤).

إن تخطيط المدن الجديدة هي سياسة للتنمية الحضرية حيث إن المجتمعات العمرانية تساهم في حل جزء من مشكلة المدينة باعتبارها جزء من سياسة تنمية متكاملة وصولاً الى المدن الجديدة الكبرى، وبالتالي تكون حلاً شاملا مستقبليا للمدينة من خلال وضع خطة بعيدة المدى ذات مرونة عالية للنمو والتوسع الحضري وتكون مراكز توازن عمراني، واجتماعي، واقتصادي، وبيئي.

ويُعد تخطيط المدن الجديدة أحد أهم الأدوات الاستراتيجية التي تبنتها الدول لمواجهة التحديات العمرانية والاقتصادية والاجتماعية الناتجة عن التوسع الحضري المتسارع، ويقوم هذا المفهوم على إنشاء مراكز حضرية مخططة مسبقًا، تُصمم وفق رؤية شاملة تهدف إلى تحقيق التوازن بين التنمية الاقتصادية والاجتماعية من جهة، والحفاظ على الموارد البيئية والطبيعية من جهة أخرى، فالمدينة الجديدة ليست مجرد تجمع سكني إضافي، بل هي وحدة تنموية متكاملة تضم أنشطة سكنية، صناعية، خدمية، تعليمية

وترفيهية، بحيث تشكل بيئة جاذبة للسكان وتخفف الضغط عن المراكز الحضرية القائمة (إبراهيم، ١٩٦١، ص٦).

ويرتكز مفهوم المدن الجديدة على مجموعة من المبادئ التخطيطية الحديثة، أهمها : إعادة توزيع السكان لتقليل الكثافة والازدحام في المدن الرئيسية، تنويع الأنشطة الاقتصادية بهدف خلق فرص عمل محلية تحد من الهجرة اليومية، تكامل البنية التحتية والخدمات بما يتناسب مع احتياجات النمو المستقبلي، إضافة إلى تبني معايير الاستدامة في إدارة الطاقة والمياه والنقل والمساحات الخضراء. كما يُنظر إلى المدن الجديدة باعتبارها آلية لتحقيق التنمية المكانية المتوازنة، حيث تساهم في ربط الريف بالمراكز الحضرية وتحقيق عدالة مكانية في توزيع الموارد والاستثمارات (Frey, 1999, P.g20).

وبتطبيق مفهوم الحضرية الجديدة في تطوير ضواحي المدن والحد من حالة اللاتوازن القائمة بين الأقاليم والمدن والسيطرة على الانتشار الحضري العشوائي فهي مرحلة تبنى منهج التخطيط الاستراتيجي والذي يسمح بالتجاوب مع المتغيرات المستقبلية (نشوة محمد ٢٠٠٦، ص ٨٧)

ويحكم هذا القرار التخطيطي الهام عاملان هما:

العامل الأول: يتمثل في الحجم السكاني المستهدف الوصول إليه ومن ثم تلبية احتياجاتهم من الاستعمالات المختلفة.

العامل الثاني: العلاقة التبادلية بين العاصمة القديمة والجديدة من حيث تصارع القدرة على استقطاب السكان والأنشطة والاستثمارات.

وعند تحديث المخططات وتطويرها يجب أن تتماشى مع التطورات الاقتصادية والاجتماعية والسكانية من خلال وضع استراتيجية تنمية عمرانية مستدامة لكل تجمع عمراني متوافقة مع ظروفه لمعالجة مشكلاته الراهنة وإيجاد الحلول المستقبلية، كما يجب أن تكون المدينة الجديدة ذات قدرة على النمو المستمر والمتزامن مع كل مرحلة من

مراحله، ويتم ذلك من خلال توفير التخطيط المناسب، بما يضمن وجود مناطق داخل المخطط تسمح بامتداد مستقبلي مع تتابع المراحل الزمنية للمدينة ونسيج عمراني متصل من خلال انتشار مناطق ومحاور تنمية متعددة الوظائف (Dato, 2004, P.g4-15).

وبالتالي فإن هذه الأهداف تختلف من مكان الى آخر كما يختلف ترتيب أهميتها تبعًا لخطورة المشكلات التي تواجه كل مدينة، وقد شهدت محافظة بغداد نمواً سكانيًا وعمرانيًا ووظيفيًا سريعًا بحيث تجاوز أهداف المخططات التي وضعت في الفترات السابقة. الأمر الذي أوجد إشكالات أفرزتها التطورات الطارئة والمتلاحقة التي لم تكن في حسابات الخطط السابقة مما استدعى طرح خطط جديدة للمدن الجديدة ، فإن الهيكل العمراني لهذه المدن سوف يختلف عن بعضها البعض نظرا لارتباطه بالعديد من الخصائص الطبوغرافية والجيولوجية والجغرافية والمساحة والسكان لكل من هذه المدن مما يتطلب معالجة خاصة من خلال استراتيجية مستقلة لكل مدينة بذاتها (Elizabeth, 2020, P.g3-14).

وبذلك فإن دراسة مفاهيم تخطيط المدن الجديدة تُظهر أنها ليست مجرد حلول عمرانية بديلة، بل هي توجه استراتيجي يعكس الفكر التخطيطي الحديث القائم على التكامل والاستدامة. والقدرة على استيعاب متغيرات المستقبل.

مشكلة الدراسة:

تتمثل إشكالية الدراسة في التباين الكبير بين سرعة النمو العمراني في محافظة بغداد وبين ضعف التخطيط الحضري المصاحب له، مما أدى إلى نشوء توسعات عشوائية غير منظمة، وتزايد الضغط على البنية التحتية، وتراجع الخدمات العامة، فضلاً عن استهلاك مساحات واسعة من الأراضي الزراعية وتدهور البيئة الحضرية. وتكمن المشكلة الأساسية في غياب الرؤية الاستراتيجية الشاملة لإدارة هذا النمو، الأمر الذي يفرض

الحاجة إلى إيجاد حلول تخطيطية مستدامة قادرة على تحقيق التوازن بين متطلبات التوسع العمراني والمحافظة على الموارد والهوية الحضرية للمدينة.

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية هذه الدراسة في كونها تسلط الضوء على التحديات المعقدة التي تواجه محافظة بغداد نتيجة النمو العمراني المتسارع وغير المنضبط، وما يترتب عليه من ضغط على البنية التحتية والخدمات الأساسية، وتراجع جودة البيئة الحضرية، وظهور مناطق عشوائية تفتقر إلى التخطيط من خلال مجموعة من النقاط كالتالي:

- تسليط الضوء على التحديات الناتجة عن النمو العمراني المتسارع وغير المنضبط في بغداد.
- تحليل المراحل التاريخية للتوسع العمراني لفهم جذور المشكلات الحالية.
- إبراز آثار التوسع العمراني على البنية التحتية والخدمات وجودة الحياة الحضرية.
- تقديم رؤى استراتيجية للتوسع المستقبلي تستند إلى مبادئ التنمية المستدامة.
- المساهمة في إعادة تأهيل المناطق العشوائية وتحسين البيئة الحضرية بمحافظة بغداد

وتوفر الدراسة إطاراً تحليلياً لفهم المراحل التاريخية للنمو العمراني، بما يساعد على تفسير الواقع الحالي للمحافظة وربطه بجذوره التخطيطية والاجتماعية، وتقديم رؤى استراتيجية للتوسع المستقبلي، لتكون مرجعية لصانعي القرار والمؤسسات التخطيطية في وضع سياسات عمرانية أكثر كفاءة ومرونة. كما تسهم في إثراء الأدبيات الأكاديمية بمجال التخطيط الحضري من خلال تقديم نموذج تطبيقي يمكن الاستفادة منه في مدن عربية أخرى تواجه مشكلات مماثلة.

أهداف الدراسة:

- تتبع المراحل التاريخية للنمو العمراني في محافظة بغداد.

– الكشف عن التحديات العمرانية الناتجة عن التوسع غير المخطط وآثارها على البنية التحتية والخدمات.

– تقييم السياسات التخطيطية السابقة وتحديد أوجه القصور التي أدت إلى تفاقم المشكلات الحضرية.

– اقتراح حلول تنموية قائمة على مبادئ الاستدامة لتحقيق توازن بين التوسع العمراني والحفاظ على الموارد.

– تعزيز دور المؤسسات التخطيطية والمجتمع المحلي في صياغة وتنفيذ السياسات العمرانية المستقبلية.

تساؤلات الدراسة:

– ما المراحل التاريخية للنمو العمراني في بغداد، وكيف انعكست على شكل التوسع الحالي؟

– ما أبرز التحديات الناتجة عن التوسع العمراني غير المخطط في محافظة بغداد؟

– كيف أثرت الزيادة السكانية والأنشطة الاقتصادية على نمط التوسع العمراني؟

– ما أوجه القصور في السياسات التخطيطية السابقة التي ساهمت في تفاقم المشكلات العمرانية في محافظة بغداد؟

– ما الاستراتيجيات الممكنة لمعالجة العشوائيات وتحسين البيئة الحضرية؟

– كيف يمكن توظيف مبادئ التنمية المستدامة في وضع خطط مستقبلية للتوسع العمراني؟

– ما دور المؤسسات التخطيطية والمجتمع المحلي في إنجاح استراتيجيات التوسع العمراني في محافظة بغداد؟

منطقة الدراسة:

تقع محافظة بغداد في الجزء الأوسط من العراق وتشكل القلب الإداري والسياسي والاقتصادي للبلاد، حيث تضم العاصمة بغداد التي تعد أكبر مدن العراق وأكثرها كثافة

سكانية. يحدها من الشمال محافظة صلاح الدين، ومن الجنوب محافظة بابل، ومن الشرق محافظتا ديالى وواسط، ومن الغرب محافظة الأنبار، وهو ما يمنحها موقعاً محورياً يربط شمال العراق بجنوبه وشرقه بغربه.

وتقع المحافظة فلكيًا بين دائرتي عرض (٤٩/ ٤٣° و ٥٥/ ٤٤° شرقًا)، وبين خطي طول (٤٣/ ٣٣° و ٥٠/ ٣٢° شمالًا)، وتمتد على مساحة تبلغ ٤,٥٥٥ كم٢، وتشغل بغداد موقعًا استراتيجياً على ضفاف نهر دجلة الذي يقسمها إلى جانبين: الكرخ والرصافة، وهو ما أسهم في تشكيل بنيتها العمرانية عبر العصور، وهذا الموقع جعلها مركزًا حضريًا بارزًا، وعقدة مواصلات رئيسية ترتبط عبر شبكات الطرق والسكك الحديدية والمطارات ببقية محافظات العراق والدول المجاورة، كما أن موقعها الوسطي أكسبها أهمية جغرافية فريدة، حيث مثلت عبر التاريخ نقطة جذب للسكان والأنشطة الاقتصادية، مما جعلها بؤرة رئيسية للنمو العمراني المستمر.

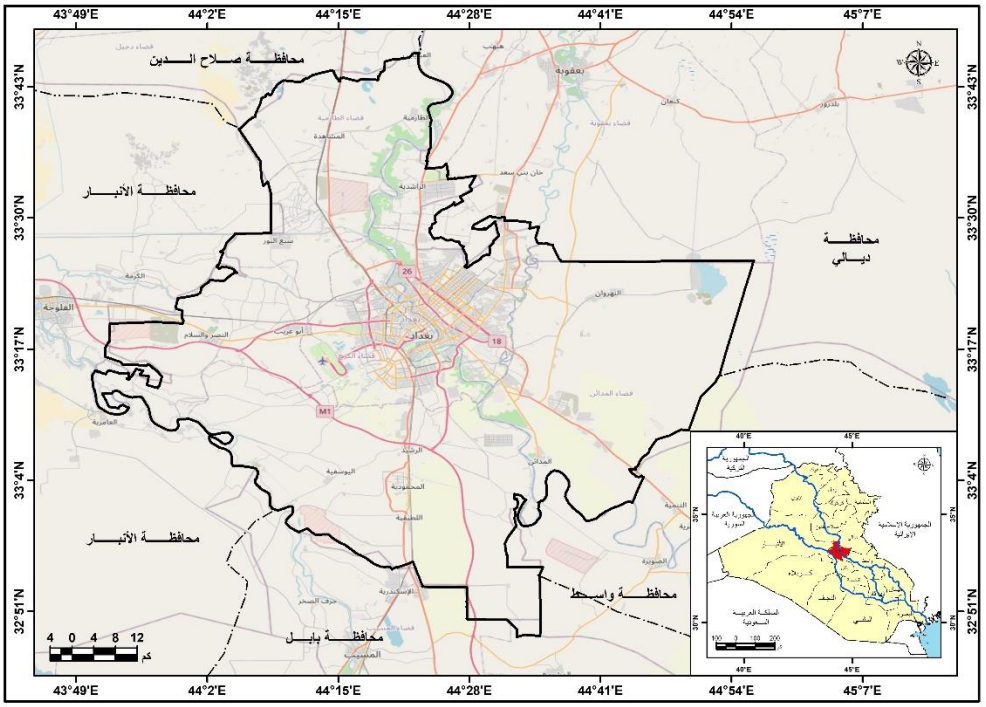

شكل (١): موقع محافظة بغداد بالعراق

الدراسات السابقة:

- دراسة **بيداء عبدالله (٢٠٢٠): التوسع العمراني دراسة في المورفولوجيا الاجتماعية لمجمع بسماية**، وتتناول هذه الدراسة معرفة الشكل الاجتماعي المورفولوجي في مجمع بسماية السكني وهو احد المجمعات السكنية الحديثة في محافظة بغداد ويتميز بطابعه العمراني الحضري وخدماته المتكاملة، وقد حاولت هذه الدراسة معرفة مدى اهم العوامل التي أدت الى تشكل المجتمع الجديد وعوامل الجذب المتمثلة بالبناء العمراني الحديث والأمن والخدمات العامة التي تلعب دوراً رئيساً في جذب السكان وتكوين شكل اجتماعي داخل البيئة الجديدة.
- دراسة **أمال صباح حسن كاظم (٢٠٢٠): التوسع الحضري واثره على مساحة الأراضي الزراعية في قضاء المدائن ناحية الجسر للمدة بين (١٩٩٠-٢٠٢٠)**، تطرقت الدراسة إلى أبرز العوامل الطبيعية والبشرية ومدى تأثيرها في التوسع الحضري ثم تناولت الدراسة التوسع الحضري على استعمالات الأرض في مدينتين وهي قضاء المدائن وناحية الجسر وتحديد اتجاهات التوسع والكشف عن حالات التوسع والتغيرات التي حدثت للفترتين وتوصل البحث الى عدد من المقترحات والتي يفيد المخططين وصانعي القرار من أعداد الخطط والبرامج التنموية الملائمة للنهوض بواقع المدن الحالية والجديدة وإيجاد السبل للارتقاء بها في المستقبل.
- دراسة **وليد سمير عبد الغفار عبد الدايم (٢٠١٧): مقومات نجاح المدن الجديدة كعواصم قومية**، اهتمت الدراسة بتحديد المقومات الأساسية والمعايير التخطيطية التقييمية الواجب توفرها في مخططات المدن العواصم الجديدة وتحديد اهم المكونات التخطيطية الواجب تواجدها في مدن العواصم البديلة من الناحية الاجتماعية والعمرانية والاقتصادية واستخلاص اهم الأسس والمقومات التخطيطية الواجب توافرها في مدن العواصم الجديدة لتحقيق نجاحها في أداء دورها المخطط لها.

- دراسة **هبة محمد إبراهيم عمار(٢٠١١): دور المدن الجديدة في التنمية الحضرية في اطار مراحل التنمية الاقتصادية**، تناولت الدراسة تفعيل دور سياسة المدن الجديدة في استراتيجيات التنمية الحضرية لاستيعاب المتطلبات العمرانية المستقبلية للتنمية الحضرية.

مناهج الدراسة وأساليبها:

- **المنهج الموضوعي:** هو المنهج الذي يبين القيمة التي تُظهِر كيفية ابتكار الحقائق العلمية، وهي الفكرة التي تنص على أن العلماء لابد أن يطمحوا إلى محاولتهم الى الكشف عن الحقائق المتعلقة بالعالم الطبيعي.

- **المنهج المقارن:** هو المنهج الذي يعتمد على المقارنة في دراسة الظاهرة حيث يبرز أوجه الشبه والاختلاف المكانية والزمانية فيما بين ظاهرتين أو أكثر مما يؤدي إلى فهم أفضل للأسباب أو العلاقات الأساسية لمنطقة الدراسة.

- **المنهج الإقليمي:** ويهدف إلي إبراز التباين الإقليمي بين منطقة الدراسة والمدن المحيطة وإبراز التباين المكاني الذي يميزها عن ما يجاورها واختيار البديل الأفضل لمركز المدينة الجديد.

- **الأسلوب الوصفي والتحليلي:** أستعمل هذا المنهج من خلال تحليل ودراسة محافظة بغداد عن طريق الاعتماد على البيانات المكانية والكشف عن المساحات العمرانية القابلة للتوسع المكاني على الاتجاهات الجغرافية لمحافظة بغداد، وتم الاعتماد على الأسلوب الوصفي في دراسة النمو والتطور لرصد ما يطرأ على محافظة بغداد، والتنبؤ بما يمكن أن يحدث مستقبلًا والتي تحدد الاتجاه الذي يحكم المداخل الفكرية للبحث.

مراحل النمو العمراني لمحافظة بغداد:

مرت محافظة بغداد بمراحل نمو وتطور كثيرة جرت خلالها عدة محاولات لوضع تصاميم أساسية لها وتوسيعها لتتلاءم مع زيادة أعداد السكان منذ العصر العباسي (٧٦٢م) وحتى الوضع الحالي وكانت المراحل كالتالي:

- **العصر العباسي (٧٦٢م-٩١٢م):** تأسست بغداد كمدينة مدورة على يد الخليفة أبو جعفر المنصور، حيث اتسمت بتخطيط مركزي دائري يجمع بين الوظيفة السياسية والإدارية والدينية، بهدف أن تكون عاصمة سياسية وحضارية للإمبراطورية العباسية، فكان عمرانها متفردًا ومبنيًا على أسس هندسية دقيقة.

ومع مرور الزمن بدأت المدينة تتوسع خارج أسوارها معتمدة على التخطيط الإشعاعي نحو الشرق والغرب حيث تخرج الشوارع الرئيسية من المركز نحو الأبواب خاصة باتجاه الكرخ والرصافة، تبعًا للحركة التجارية والأنشطة الاقتصادية، وكانت مدينة بغداد مدورة ويبلغ طول قطرها نحو ٢٦١٥ مترا، ويرمز هذا الشكل إلى المركزية في الحكم والإدارة، حيث وُضع قصر الخليفة والمسجد الجامع في قلب المدينة، وأحيطت بخندق وسورين بينهما ساحة واسعة، ورسم في داخلها سكك (شوارع أو أزقة) عديدة على كل منها عدد من الطاقات، وكل هذه السكك مستقيمة تمتد من السور إلى رحبة واسعة في وسط المدينة المدورة يحاوطها أربعة أبواب رئيسية وهم (باب خراسان، باب الكوفة، باب البصرة، باب الشام) (البغدادي، ٢٠٠١، ص٦٥).

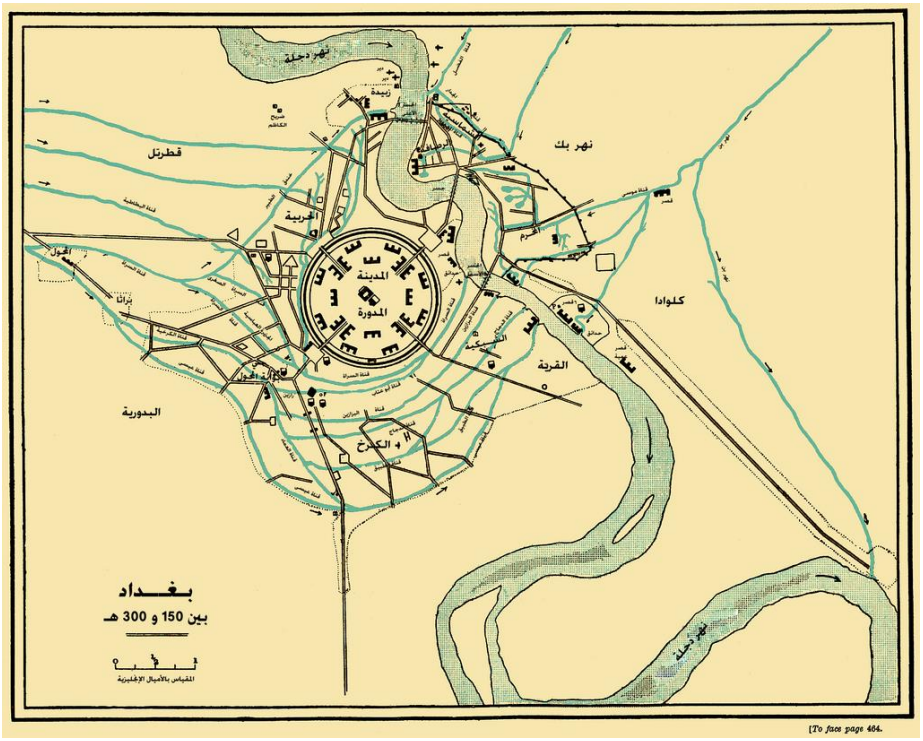

المصدر: William Muir, 2014, GNU Free Documentation License

شكل (٢): مدينة بغداد المدورة بين عامي (٧٦٧-٩١٢م)

وعلى الرغم من مركزية التخطيط الأولي فإن بغداد لم تبقَ محصورة داخل الأسوار طويلًا، فسرعان ما ظهرت الضواحي والأحياء الجديدة مثل الكرخ والرصافة، نتيجة تزايد السكان والتدفق التجاري، وهذا التوسع خلق شبكة عمرانية متداخلة تجمع بين التخطيط الرسمي (المركز) والنمو العضوي (الأطراف).

والعمران في بغداد العباسية اتسم بالتخطيط المركزي والهندسة الدقيقة في البداية، ممثلًا في المدينة المدورة، لكنه تحول بسرعة إلى عمران متدرج ومتوسع يعكس ديناميكية النمو الحضري وازدهارها الاقتصادي والثقافي. وبذلك أصبحت بغداد نموذجًا مبكرًا لمدينة عالمية جمعت بين الوظيفة السياسية، الدينية، الاقتصادية، والثقافية في نسيج عمراني واحد (البغدادي، ٢٠٠١، ص٦٥).

مرحلة ما قبل التوسع الحديث (العصر العثماني – مطلع القرن العشرين): خلال الحكم العثماني، شهدت بغداد نموًا تدريجيًا في شكل أحياء متلاصقة حول نهر دجلة، واعتمد النمو على الأنشطة التجارية على ضفاف النهر والأسواق التقليدية، دون وجود رؤية تخطيطية شاملة، وكان الامتداد العمراني محدودًا ويتأثر بعوامل طبيعية مثل الفيضانات، وكان انحدار نهر دجلة من أعلى يسارها إلى أسفل يمينها (مصطفى وآخرون، ١٩٦٨، ص٨٢).

وبعد دخول العثمانيين بغداد عام ١٥٣٤م، اتخذت المدينة طابعًا إداريًا عسكريًا بالدرجة الأولى، كانت المدينة محصورة داخل أسوارها، وتتركز حول ضفتي نهر دجلة، خاصة في منطقتي الكرخ والرصافة، والأحياء العمرانية نشأت بشكل عضوي (غير مخطط) نتيجة الحاجة اليومية، حيث تميزت الشوارع بالضيق والتعرج لحماية المساكن من أشعة الشمس وتقليل الرياح، بكثافة سكانية عالية داخل الأحياء القديمة مع بقاء البساتين (البساتين الغنّاء) تحيط بالمدينة وتشكل حدودًا طبيعية للتوسع، وكثير من المناطق داخل بغداد كانت شبه ريفية، مما أضفى على المدينة طبيعة مزدوجة (حمدان، ٢٠٢٣، ص١٨٤).

ويتضح أن العمران في بغداد خلال العهد العثماني وحتى مطلع القرن العشرين كان انتقاليًا؛ إذ حافظ على طابعه التقليدي العضوي الموروث منذ العصور الإسلامية، لكنه بدأ يتعرض لتأثيرات خارجية نتيجة الاحتكاك الأوروبي والإصلاحات العثمانية. ومع ازدياد السكان والحاجة للخدمات الحديثة، بدأت ملامح التوسع الحضري الأولي تظهر، لتُمهد لاحقًا لنمو المدينة الكبير في القرن العشرين وما بعده (الدروبي، ١٩٥٨، ص٣١٧).

المصدر: Summer Resorts & Tourism Service, Baghdad, (https://www.historicpictoric.com)

شكل (٣): مدينة بغداد بالعهد العثماني

– **مرحلة التوسع الحديث (١٩٥٠–١٩٨٠م):** مع التغيرات السياسية والاقتصادية بعد منتصف القرن العشرين، بدأت بغداد تشهد تحولًا عمرانيًا واضحًا، فتم إنشاء أحياء جديدة على أطراف المدينة مثل مدينة الثورة (الصدر حاليًا)، والكرادة، والدورة، وظهرت مخططات عمرانية أكثر وضوحًا من خلال شوارع رئيسية وشبكات طرق حديثة، وتميزت الفترة بتوسع سكاني وعمراني نتيجة الهجرة من الأرياف إلى المدينة، عن طريق وضع تصاميم أساسية لها، وقامت بتكليف عدد من الشركات الاستشارية الأجنبية المتخصصة في مجال تخطيط المدن (حمدان، ٢٠٢٣، ص١٨٦).

وكان توسع المدينة قد تم على شكل مراحل خلال حقب زمنية مختلفة، بدأت المرحلة الأولى منها عام ١٩٢٠م خلال عهد الانتداب عندما أعد

مهندس معماري بريطاني تصميمًا أساسيًا، اقترح فيه إعادة تنظيم المدينة واستحداث وحدات سكنية في العديد من المناطق منها العلوية والسعدون والهنيدي (معسكر الرشيد)، وفي عام ١٩٢٣ ظهرت حركة العمران والتوسع حول الكرخ والرصافة والكاظمية والاعظمية وكانت على شكل امتداد طولي بدلاً من الدائري أو شبه الدائري (https://urbanreform.ca/).

ويمكن القول أن توسع مدينة بغداد وتطورها خلال عهد الانتداب قد فاق التطور بالمدن العراقية الأخرى كونها عاصمة المملكة، وكان التصميم الأساسيّ الذي وضع لمدينة بغداد عام ١٩٥٦م على شكل شعاعي يسهل الحركة في المدينة وأطرافها من جهة، ولكنه من جهة أخرى قد يؤدي الى أضعاف الوظيفة السكنية لان قطع الأراضي ذات الأشكال الهندسية قد لا تكون مرغوبة لأغراض السكن (الهيتي، ١٩٧٩، ص٢٠)

وفي عام ١٩٥٨ كلفت الحكومة شركة دوكسيادس اليونانية بأعداد تصميم جديد للمدينة يكون على شكل مربع يمتاز بطرق مستقيمة ومتوازية ومتقاطعة مع بعضها ومما يجدر ذكره أن هذه الشركة قد استعملت للتخطيط الموقعي وليس لتخطيط المدينة وإنما قامت بوضع تصاميم لمشاريع الإسكان في حي اليرموك وغربي بغداد لكنها أهملت لأنها لم تكن دقيقة (https://urbanreform.ca/).

ويتضح مما تقدم أن توسع مدينة بغداد قد تأثر بعدة عوامل كان من أهمها ضعف تحكم الدولة بمياه الفيضانات لعدم وجود السدود اللازمة لتبديد مخاوف البغداديين من هواجس الفيضانات وصورها المرعبة وحوادثها المؤلمة التي بقيت عالقة في أذهانهم لتكرارها المتعاقب بشكل اثر على المعالم العمرانية القائمة في المدينة ، وقلل من توفر عنصر الاطمئنان في الأماكن التي يحتمل تعرضها للفيضانات بين آونة وأخري بحيث كانت من العوامل المثبطة لعزم كثير من الراغبين بتشييد مساكنهم في تلك المناطق في ظل غياب الدور الحكومي الجاد ، الذي تمثل في عجز الحكومة عن مواجهة أخطار

الفيضانات إذ واجهتها بوسائل بدائية ، ولم تنتبه الى خطورة تلك العقبات ، التي كانت تشكل بشكل أو بأخر عوامل معرقلة لنمو المدينة وتوسعها إلا بعد منتصف الخمسينيات (https://urbanreform.ca/).

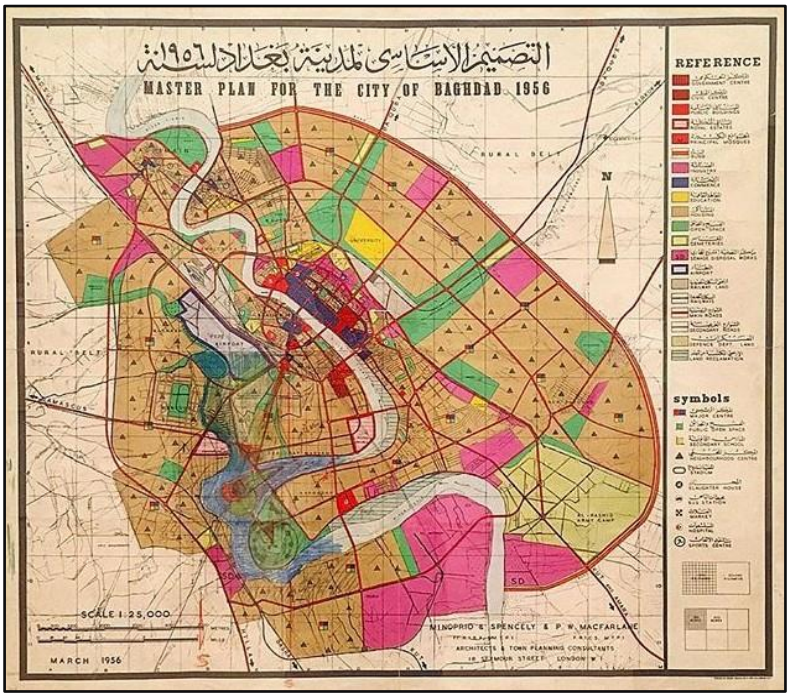

المصدر : https://urbanreform.ca/

شكل (٤): التصميم الأساسي لمدينة بغداد لعام ١٩٥٦م

- مرحلة التوسع العشوائي وضغط النمو السكاني (١٩٩٠م – ٢٠٠٣م): بفعل الظروف الاقتصادية والحصار، ظهرت أنماط نمو غير مخططة، وانتشرت العشوائيات حول أطراف بغداد، خصوصًا في شمال وشرق المدينة، وضعفت البنية التحتية والخدمات لمواكبة النمو السكاني السريع، وشهدت بغداد توسعًا عمرانيًا واسع النطاق، مع زيادة غير مسبوقة في المساحات العمرانية، حيث ازدادت الكثافات السكانية بشكل عشوائي في بعض المناطق مقابل فراغات عمرانية في أخرى إلى أن ارتفع النمو العمراني ليصل إلى ٦٢٨,٤٩ كم^{٢} في عام ٢٠٠٠م.

والمرحلة الحالية بعام ٢٠٢٤م، كانت الاتجاهات التخطيطية تشير إلى التوسع شمالًا وغربًا لتخفيف الضغط عن النسيج الحضري القائم، وبدأت مقترحات في ربط بغداد بمحافظات مجاورة مثل صلاح الدين والأنبار من خلال مدن جديدة ومناطق توسع عمراني، بالاعتماد على تطبيق تقنيات حديثة مثل النمذجة المكانية (GIS) والتحليل متعدد المعايير (MCE) لتوجيه التوسع وضبط النمو بما يحقق التوازن بين التنمية والحفاظ على الموارد.

ومما سبق يتضح أن النمو العمراني في بغداد بمراحل متعاقبة؛ فقد تأسست في العصر العباسي كمدينة مدورة مزدهرة بالتخطيط والشواهد العمرانية، ثم دخلت مرحلة انكماش، وما تبعه من تراجع في العمران، وفي العهد العثماني اتخذت بغداد طابعًا إداريًا وتجاريًا بنمو عضوي غير مخطط، لتشهد أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين توسعًا تدريجيًا خارج أسوارها وظهور أحياء جديدة.

ومع العهد الملكي برز التخطيط الحديث بإنشاء الشوارع المستقيمة والأحياء السكنية المنظمة، ثم اتسع العمران بشكل سريع بعد ١٩٥٨م نتيجة الهجرة الداخلية وازدياد الكثافة السكانية قبل أن يدخل في مرحلة التوسع غير المنظم خلال الحروب والاضطرابات السياسية بين ١٩٨٠ و٢٠٠٣م، أما المرحلة الراهنة فقد اتسمت بالانتشار العشوائي الواسع على حساب الأراضي الزراعية وضعف البنية التحتية، مما جعل المدينة تواجه تحديات كبيرة في النقل والإسكان والخدمات.

الحلول الاستراتيجية البديلة للتوسعات العمرانية:

تمثل عملية بناء سيناريوهات الوضع المستقبلي لحدود وحجم النمو السكاني والعمراني للتجمعات الجديدة الخطوة المحورية في منهج التخطيط الاستراتيجي حيث يتم فيها تشكيل تصورات حيوية للأوضا ع المستقبلية المحتملة ، نظرا لتعدد الدراسات المرتبطة بقضية تحديد النمو العمراني والسكاني ومعدلاتها ومراحلها في ضوء التأثيرات المتوقعة

من القوى الفاعلة ، وحيث أن الرؤية الاستراتيجية ليست مجرد سرد لنتائج تلك الدراسات ولكنها عملية صياغة وتشغيل رؤى مستقبلية يتم في أطارها تكامل جميع المقترحات التي تم الوصول إليها من خلال الدراسات بحيث تنصهر جميعها في رؤية مستقبلية ترتبط بالقوى المؤثرة في تشكيل هذه الرؤية، فان سيناريوهات الوضع المستقبلي لحدود وحجم النمو السكاني والعمراني للتجمعات الجديدة.

حيث تتعدد السيناريوهات المتوقعة الحالية والمستقبلية لتحديد أتجاه نمو التجمعات العمرانية في بغداد ومن خلال الدراسة البحثية والميدانية وصولا الى الحالة الدراسية واقع الحال وصولا الى التنبؤات المستقبلية تم أجمال التوقعات في ثلاثة بدائل توضحها الشكل التالي:

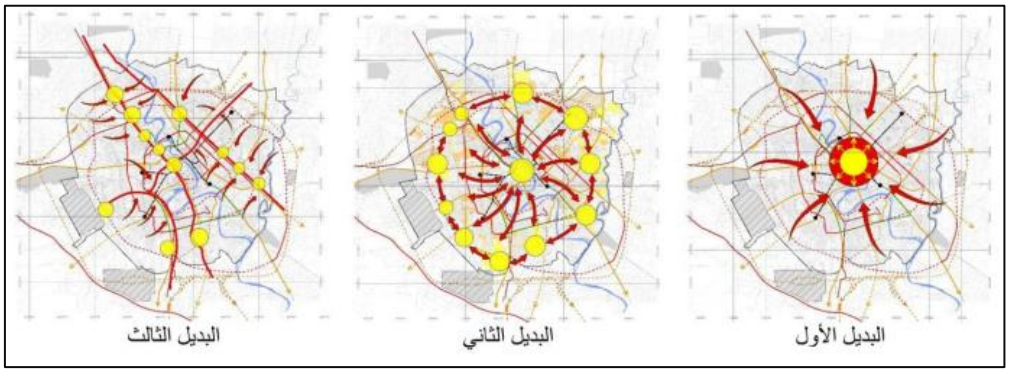

المصدر: محمد الباقر نصيف، المخطط الانمائي الشامل لمدينة بغداد (التصميم الأساس)، مجلس النواب تقرير قسم البحوث والدراسات النيابية ،٢٠٢٣.

شكل (٥): البدائل الثلاثة المقترحة للنمو

– **البديل الأول (سيناريو المدينة المركزية):** وتعتمد على المعدلات الحالية للنمو وتشمل استمرار التوسع الخارجي للمدينة والاهتمام بمركز المدينة الحالي كمركز للنشاط المهيمن المنطقة التجارية المركزية وسيبقي المركز (المنطقة التجارية المركزية CBD) ليؤدي هذا الدور، وهذا النمط تطورت به معظم المدن سابقًا.

– **البديل الثاني (مدينة متعددة المراكز):** حيث يتم التأكيد على مراكز تنمية جديدة وعلى شبكات النقل الحالية والمستقبلية ونقاط التقاطعات للطرق السريعة الرئيسة وطرق السكك الحديدية الناقلة للأنشطة الاقتصادية بعيدًا عن مركز المدينة باتجاه المناطق الخارجية.

– **البديل الثالث (مدينة المحاور التجارية):** حيث يتم التأكيد على شبكات النقل العام لتطوير الأنشطة الاقتصادية على طول ممرات النقل الرئيسية كما سيتم تنمية المناطق التي توفر الأنشطة التجارية والاستخدام المختلط للأرض والكثافة السكانية العالية على طول الممرات والتقليل من التركيز على نمو وسط المدينة.

وتنويع القاعدة الاقتصادية للمدن الجديدة وعدم اعتمادها على قطاع واحد فقط لضمان قدرتها على الاستدامة ومواجهة التغيرات المستقبلية وتدعيم التكامل بين المدن الجديدة والقائمة بحيث تستوعب الأنشطة التي يصعب توفيرها في المدن القائمة مثل الخدمات الإقليمية وتهيئة المدن الجديدة بأدوار تنموية ووظيفية على مختلف المستويات القومية والإقليمية والمحلية بشكل فعال

ويعد النموذج متعدد المراكز من النماذج المهمة وذلك لتحقيق الأهداف المهمة واهمها تخفيف الضغط على المركز التجاري وإعادة توزيع الأنشطة على المراكز الثانوية المقترحة وجعل الخدمات الأساسية قريبة من المناطق السكنية وزيادة التواصل والمركز لتحسين مدينة بغداد المستقبلية.

ويستند السيناريو المختار على تطوير مركز مدينة بغداد ويأخذ بالاعتبار ثقل ووزن الأنشطة والخدمات الأساسية للمركزين بما يحقق التكامل تطبيق خطة المخطط الإقليمي الأقرب لمدينة بغداد ولتطبيق هذا المبدأ من خلال اعتماد كلاً من مدينة بغداد وحسب تحليل الاتجاه الجغرافي المختار والمدينة المقترحة كمركزين رئيسين يمثلان قاعدة التدرج الهرمي.

وأهمية تحديد مناطق التطوير العمراني المستقبلي في ضوء ما يتم تجميعه من معلومات عن معدلات واتجاهات النمو العمراني الحالية والمستقبلية من خلال دراسة محددات وإمكانيات التنمية داخل المدينة ليتم اتخاذ أدوات التوجه والتحكم بالنمو العمراني وترشيد استخدام الأرض وكذلك الحد من ظاهرة التشتت العمراني وتركيز التطوير وتقليل مساحات الأراضي المخططة الغير مستغلة وذلك من أجل رفع نوعية الحياة لسكان المدينة كهدف أساسي ،كما أنه يساهم في رفع إدارة عمران المدن والسيطرة علية من خلال تفعيل الدور الوظيفي للمدينة على المستوى المحلي والإقليمي.

الخاتمة:

خلصت هذه الدراسة إلى أن محافظة بغداد تمثل نموذجاً بارزاً للتحديات العمرانية في المدن الكبرى، حيث أدى النمو السكاني المتسارع والتوسع الحضري غير المخطط إلى ضغوط هائلة على البنية التحتية والخدمات، وظهور أنماط عمرانية عشوائية انعكست سلباً على جودة الحياة الحضرية. ومن خلال تتبع المراحل التاريخية للنمو العمراني، تبيّن أن غياب الرؤية الاستراتيجية المتكاملة أسهم في تفاقم المشكلات، وجعل التوسع العمراني يتسم بعدم التوازن وافتقاد الاستدامة.

وتؤكد نتائج البحث أن مواجهة هذه التحديات تتطلب تبني استراتيجيات تخطيطية طويلة الأمد تقوم على إنشاء ضواحٍ ومدن جديدة مخططة، وإعادة تأهيل المناطق العشوائية، وحماية الأراضي الزراعية، إضافة إلى تطوير البنية التحتية وتعزيز كفاءة مؤسسات التخطيط العمراني. كما أن إدماج مبادئ التنمية المستدامة في السياسات الحضرية يعد مدخلاً أساسياً لتحقيق التوازن بين التوسع العمراني وحماية الموارد الطبيعية.

وبذلك فإن مستقبل بغداد العمراني مرهون بقدرتها على التحول من النمو العشوائي إلى التخطيط الاستراتيجي المستدام، حيث يتوقف على مدى قدرة صانعي القرار على تبني خطط استراتيجية قائمة على الاستدامة، تضمن إدارة النمو الحضري بكفاءة، وتحول

التحديات الحالية إلى فرص تنموية تدعم رفاهية المجتمع وتحافظ على هوية المدينة، بما يضمن للمدينة الاستمرار في أداء دورها كمركز حضري وسياسي واقتصادي محوري، وفي الوقت ذاته يحافظ على مقومات العيش الكريم للأجيال الحالية والمستقبلية.

التوصيات:

– إعداد رؤية استراتيجية شاملة لإدارة النمو العمراني في بغداد تأخذ في الاعتبار الزيادة السكانية والموارد المتاحة ومبادئ التنمية المستدامة.

– تطوير مدن وضواحٍ جديدة مخططة لتخفيف الضغط عن مركز العاصمة، مع ربطها بشبكات نقل متكاملة.

– الحفاظ على الأراضي الزراعية والموارد الطبيعية عبر وضع ضوابط واضحة للحد من التوسع العمراني غير المنظم.

– تعزيز كفاءة البنية التحتية من خلال الاستثمار في شبكات المياه والكهرباء والصرف الصحي والنقل العام.

– تفعيل دور المؤسسات التخطيطية ومنحها الصلاحيات الكافية لتطبيق القوانين واللوائح الخاصة بالتوسع الحضري.

– تشجيع المشاركة المجتمعية في وضع وتنفيذ السياسات العمرانية لضمان تلبية احتياجات السكان.

– الاستفادة من التقنيات الحديثة مثل نظم المعلومات الجغرافية (GIS) والاستشعار عن بعد لرصد التغيرات العمرانية وإدارة الموارد بفاعلية.

– تطبيق مبادئ التنمية المستدامة في كافة المشاريع العمرانية لضمان التوازن بين البعد الاقتصادي والاجتماعي والبيئي.

– بناء شراكات مع الجامعات ومراكز البحوث لتوفير قاعدة علمية داعمة لصناعة القرار في مجال التخطيط الحضري.

قائمة المراجع

أولًا: المراجع باللغة العربية:

١- أحمد بن على ثابت (الخطيب البغدادي)، (٢٠٠١): تاريخ بغداد، دار الغرب الإسلامي، الجزء الأول.

٢- إبراهيم الدروبي (١٩٥٨): البغداديون أخبارهم ومجالسهم، (ط١)، بغداد، مطبقة الرابطة.

٣- جواد مصطفى، أحمد مكية، معروف ناجي، (١٩٦٨): كتاب بغداد، نقابة المهندسين العراقية.

٤- خلف حسين علي الدليمي ، بدائل النمو الحضري للمدن المحددة التوسع منطقة الدراسة الرمادي ،ماجستير جامعة بغداد مركز التخطيط الحضري والإقليمي ،١٩٩٠.

٥- سوسن صبيح حمدان، (٢٠٢٣): النمو الحضري والتطور العمراني لمدينة بغداد، مجلة آداب الفراهيدي، المجلد (١٥)، العدد (٥٣).

٦- محمد الباقر نصيف، المخطط الإنمائي الشامل لمدينة بغداد (التصميم الأساس)، مجلس النواب تقرير قسم البحوث والدراسات النيابية ،٢٠٢٣.

٧- نشوة محمد صلاح الدين رياض، المدن الجديدة في نطاق المتروبوليتانية، رسالة دكتوراة كلية الهندسة، جامعة القاهرة،٢٠٠٦.

٨- عبد الباقي إبراهيم، (١٩٦١): دراسات تحليلية في تخطيط المدن المصرية، المؤتمر الهندسي العربي الثامن، الإسكندرية.

ثانيًا: المراجع باللغة الإنجليزية:

1- Dato' Jebasingam Issace John. (2004). Creating the Essence of Cities: The Putrajaya's Experience ،research paper ،Journal of the Malaysian Institute of Planners.
2- Elizabeth O. Ruff 2020, city new after disaster,(3)104.
3- Frey, H. (1999) :Designing the City: Towards a More Sustainable Urban Form. E & FN Spon.

ثالثًا: المواقع الالكترونية:

- الموقع الالكتروني (https://www.unesco.org/en) ندوة عالمية حول الهندسة المعمارية في بغداد، مكتب اليونسكو بالعراق (١٣ يونيو ٢٠١٨).

Urban Growth Stages and Strategic Solutions for Urban Expansions in Baghdad Governorate

Abstract:

This study examines the stages of urban growth in the Baghdad Governorate by analyzing the spatial and temporal transformations the city has undergone since its inception to the present stage. It focuses on patterns of urban expansion and their relationship to population growth and economic and social changes. Baghdad has witnessed rapid and unbalanced growth, manifested in unplanned horizontal expansion, severe pressure on infrastructure, and the emergence of informal areas, reflecting the absence of a comprehensive vision in urban planning.

By tracing the historical stages of urban expansion, it becomes clear that the city has moved from centralized traditional planning in early eras to policies of circular and radial expansion in the twentieth century, and finally to disorganized and random growth in recent decades, which has created significant challenges in the management of urban resources.

To confront these challenges, the research attempts to present a set of strategic solutions for urban expansions, such as adopting the concept of balanced growth through the establishment of new, planned cities and suburbs that accommodate population growth. It also includes developing transportation networks and regional connectivity to reduce excessive concentration within the urban center. Consequently, the research concludes that long-term strategic planning is the optimal way to control urban growth in Baghdad and transform existing challenges into developmental opportunities that contribute to raising the efficiency of the urban infrastructure and achieving more sustainable urban development.

Keywords: Urban Growth – Urban Expansion – New Cities – Planning Strategies – Urban Planning.